# التحرر الأخلاقي في الأدب الأندلسي

د. نصيب عاشور نصيب محمد (*)

*** نبذة عن الموضوع**

شهد الأدب الأندلسي كثير من مراحل التقلبات السياسية، والتقلبات الاجتماعية، والتقلبات الفكرية، وقد أفرزت هذه التقلبات كثيرًا من الظواهر الأدبية ، والعلمية ، والظواهر الإيجابية، والسلبية ؛ التي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الأدبية الأندلسية .

وقد انبرى كثير من الباحثين، والدارسين في مجالات الدراسات الأندلسية؛ للتصدي لمثل: هذه الظواهر، والوقوف علي أسباب ظهورها ، وانتشارها في الأدب الأندلسي، ودراسة دلالات هذه الظواهر في البيئة الأندلسية، ومدي تأثر النواحي الحياتية بهذه الظواهر؛ التي ربما كان لبعضها جذور في الأدب العربي، وكان بعضها الأخر حديث عهد بهذا الأدب العريق .

ومن الظواهر الأندلسية؛ التي لفتت انتباه الباحث، وكثيرًا ما استوقفت تفكيره ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي، فهذه الظاهرة تحتاج للكثير من الدراسة والبحث؛ للكشف عن معالمها الخفية، وأسرارها الدفينة، وقد امتدت جذور هذه الظاهرة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، وحتى العصر الأندلسي؛ الذي فاح عطر حضارته ، وعبق أصالته في أرجاء بلاد الأندلس.

وللكشف عن معالم هذه الظاهرة ، والتنقيب عنها في تراثنا العربي الأندلسي، يجب تحديد مفهومها، والمقصود منها، وأهم أهداف دراستها دراسة أدبية نقدية؛ تكشف للدارسين، والباحثين صورة معبرة واقعية من صور الشعر العربي في بلاد الأندلس؛ إبان حياة العرب في الأندلس من الفتح إلي السقوط والانهيار.

كلمة التحرر، ومعناها(١) تحرّر العبد من الرّقّ : أُعتِق، صار حُرًّا لا سلطان عليه، تحرر من الاستعمار، ونحوه : حَرَّر نفسَه منه ، وتخلَّص من سيطرته عليه ، تحرَّرت شعوبُ العالم الثَّالث من الاستعمار، ولم تتحرّر من سلطانه - تحرَّر من التَّقاليد، التحرر: نفض اليد من كل قيد، أو التزام، والتحرر ضد الالتزام.

---

(*) دكتوراه في الأدب والنقد (الأدب الأندلسي).

١ - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م جـ١ صـ ٤٦٨

**- أسباب ظهور التحرر الأخلاقي في البيئة الأندلسية :**

**أولا:** انتشار كثير من مجالس الأدب، والطرب، والأنس في أرجاء البيئة الأندلسية، وخاصة قصور الملوك، والأمراء، والوزراء، وكذلك انتشار المعارضات الشعرية ، والأدبية بين الأدباء، والشعراء... وغيرهم من أهل العلم، والثقافة.

**ثانيا:** إن تقلب السلطة الأندلسية في أيدي كثير من الملوك، والأمراء، والوزراء، وتولي بعض أهل الذمة- في بعض الأحيان– مقاليد هذه السلطة مثل:الوزير اليهودي ابن النغريلة، ولعل تناحر ملوك الطوائف؛ لتولي مقاليد الحكم، والسلطة في بلاد الأندلس، كان له عظيم الأثر؛ لغرس بذور التحرر الأخلاقي؛ لدي كثير من الشعراء؛ الذين ينتمون لفئة بعينها؛ لها موطنها المستقل، وعقيدتها الخاصة، وفكرها المختلف، وسياستها المتباينة في إدارة شئون البلاد، وقد انبرى بعض الشعراء؛ للدفاع عن أهل السلطة، والجاه بكل الوسائل، والطرائق الأدبية الحميدة، والوسائل الذميمة، والطرائق القبيحة، وعلي الجانب الأخر، ظهر عديد من شعراء الأندلس؛ الذين تصدوا لهؤلاء الملوك، والأمراء، والوزراء بقوة بنقدهم السياسي اللاذع، ومن هؤلاء الشعراء السميسر الألبيري .

"وكَانَ لِبَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ الْحِمْيَرِيّ - صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ - وَزِيرٌ يَهُودِيٌّ، فَهَلَكَ، وَاسْتَوْزَرَ بَعْدَهُ نَصْرَانِيًّا؛ فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ خَلَفُ بْنُ فَرَجٍ الألبيري الشَّاعِرُ المنبوز بِالسُّمَيْسِرِ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ، وَكَتَبَ بِهَا نُسَخًا عِدَّةً، وَرَمَاهَا فِي شَوَارِعِ الْبَلَدِ، وَالطُّرُقَاتِ، وَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْمَرِيَّةِ مُعْتَصِمًا بِالْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَادِحَ، وَطَارَتِ الْأَبْيَاتُ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَمَّا وَقَفَ بَادِيسُ عَلَيْهَا أَرْسَلَ، وَرَاءَهُ أَصْحَابَ الْخَيْلِ، فَفَاتَهُمْ، وَلَمْ يَلْحَقُوهُ، وَالْأَبْيَاتُ هِيَ:"(١):(الْخَفِيف )

كُـــلَّ يَـــوْمٍ إِلَـــى وَرَا بُـــدِّلَ الْبَـــوْلُ بِـــالْخَرَا
فزمانـــــا تهـــــودا وزمانـــــا تنصـــــرا
وسيصـــبوا إِلَـــى الْمَجُـــوسِ إِنِ الشَّـــيْخُ عُمِّـــرَا(٢)

**ثالثا:** إن جمال البيئة الأندلسية، وطبيعتها الخلابة؛ التي ينجذب إليها الشعراء، والشاعرات؛ لعبت دورًا عظيمًا في انتشار كثير من الأشعار؛ التي تحمل طابع الالتزام الأخلاقي أحيانًا، وطابع التحرر الأخلاقي- أحيانًا أخرى- في الأندلس؛ بسبب تنافس الشعراء في وصفها، ورغبة كل منهم في نيل السبق في

---

١ - معجم السفر، صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: عبد الله عمر البارودي ،الناشر: المكتبة التجارية - مكة المكرمة صـ٢٦٢

٢ - أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٦٣م صـ ٨٤

ذلك، وحقد بعضهم علي بعض في المعاني اللفظية؛ التي وصلوا إليها، وحسدهم العطايا، والهدايا، والمنن؛ التي حازوها أولئك الشعراء.

**رابعا**: إن مجاورة الشعراء بعضهم بعض، وقرب إقامتهم من بعضهم، وتعرف كل منهم ظروف الآخر، وكيفية حصوله علي رزقه، وعيشه، وتباري بعضهم، وتنافسهم في الوشاية لبعض، وانتشار الحقد، والكراهية بين معظمهم لأسباب اجتماعية، وسياسية؛ كشفت عن بعض الأخلاق المشينة، والسيئة؛ التي انتهجها أولئك الشعراء في الدفاع عن أنفسهم .

وقد أشار لهذا الجاحظ في "رسائله الأدبية" فقال:" إنّ الجيران طلائع عليك، وعيونهم نواظر إليك، فمتى كنت بينهم معدما، فأيسرت، فبذلت، وأعطيت، وكسوت، وأطعمت، وكانوا في مثل حالك، فاتّضعوا، وسلبوا النعمة، وألبستها أنت، فعظمت عليهم بليّة الحسد، وصاروا منه في تنغيص آخر الأبد." (١)

**خامسا**: انتشار الجواري، والغلامان، والوصيفات بين نخبة من الشعب الأندلسي، وخاصة أهل السلطة، والجاه، وعلية القوم، وتزوج كثير من الوصيفات، والجواري من أسيادهم، وملوكهم، ووزرائهم؛ دفع بعض الشعراء ، والشاعرات؛ لترصدهم بعين النقد، والذم، والهجاء؛ مما أفرز كثيرًا من صور التحرر الأخلاقي عند بعضهم .

*** أسباب اختيار الموضوع :-**

ومن أهم الدوافع ؛ التي حدت بالباحث إلى دراسة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي؛ أنه من الموضوعات؛ التي تعكس جانبًا من الجوانب الخفية والغامضة في النفس البشرية الأندلسية.

**أولاً**: إن التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي من الظواهر؛التي تصور أغوار النفس، والمجتمع، والعصر؛ فهي تقدم صورةً حيةً صادقةً معبرةً ؛عما كان يدور في نفوس بعض الشعراء؛ الذين مالوا للتحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي، ومالوا للتحرر من كل القيود، والمبادئ الأخلاقية؛التي تدعو إلي الالتزام، وعدم التحرر.

**ثانياً**: وثمة دافع آخر؛ يتمثل في الإيمان بكشف ميادين جديدة للبحوث الأدبية؛ التي لم تحظ ظاهرة التحرر الأخلاقي بنصيب كبير منها، إن ظاهرة التحرر الأخلاقي؛ تنم عن كثير من الدلالات الأدبية، والثقافية، فهي ظاهرة اجتماعية، ونفسية.

**ثالثا**: ومن العوامل؛ التي حدت بالباحث - أيضًا - إلي دراسة ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي؛ سعيه الجاد للكشف عن أسباب ظهور التحرر

---

١ - الرسائل الأدبية، الجاحظ ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ،الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ صـ ١١٩

الأخلاقي، وانعدام الالتزام الأخلاقي؛ لدي معظم شعراء الأندلس، وأيضًا- رغبة الباحث في الكشف عن أسباب ظهور التحرر الأخلاقي بصورة كبيرة في فترة زمنية بعينها في تاريخ الأدب الأندلسي .

**رابعا**: رغبة الباحث الملحة؛ أن يبرز بعض الأمراض الاجتماعية، والنفسية القبيحة، والذميمة؛ التي أصابت الشعر الأندلسي، فكثيرًا ما وصف الشعر الأندلسي؛ برقته، وعذوبته، وانغماسه في الطبيعة، وشيوع روح البهجة، والسعادة فيه، وترك الجانب السلبي؛ الذي يكشف عن صفات جديدة للشعر الأندلسي، وسماته الجديدة .

**خامسا**: رغبة الباحث للكشف عن الجانب الموضوعي؛ لظاهرة التحرر الأخلاقي، والكشف عن الجانب الأسلوبي.

*** منهج الدراسة :-**

من أجل تحقيق أهداف البحث، سيقوم الباحث بالارتكان إلى المنهج الوصفي التاريخي من ناحية، واستعان ببعض المناهج الأخرى، وهو بصدد دراسة ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي؛ لأنه على يقين تام؛ بأنه ليس هناك منهج بعينه، يستطيع أن يتصدى للنصوص الأدبية برمتها، ويفكَّ كل مغاليقها.

**- الدراسات السابقة:**

- الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، يوسف شحدة الكحلوت ، الجامعة الإسلامية بغزة عام ٢٠١٠م .

- مظاهر التحرر النسوي في الأندلس ، اجتماعيا، ثقافيا،سياسيا، المجلد ١٣ عدد١ عام النشر ٢٠٢١م .

- ازدهار الشعر النسوي في الأندلس ، محمد محمد خطابي ، مجلة الرأي ، عام ٢٠١٨ .

تحاول الدراسة الحالية أن تسلط أضواءً قويةً ساطعةً على معظم الأشعار،التي تناولت ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي، والتي جادت بها قرائح الشعراء الأندلسيين.

**المبحث الأول:- جذور التطور التاريخي، والاجتماعي للتحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي.**

تشير الدراسات الأدبية، والنقدية أن لكل عصر أدبي خصائصه، وسماته الفنية، وله- أيضًا- نقاط قوته، ونقاط ضعفه، وتشير الدراسات الأدبية- أيضًا- أن هناك بعض العصور الأدبية؛ التي اتسمت ببعض الظواهر الأدبية بعينها، في حين لم يكن لهذه الظواهر،أي ظهور، أو وجود في عصور أخرى، وربما هناك بعض الظواهر؛ التي سرعان ما تبدو، وتلوح في الآفاق الأدبية، والثقافية ثم تغيب عن هذه الآفاق مرة أخرى .

فالتحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي مرض خطير؛ كثيرًا ما يسيطر علي النفس البشرية، ويطوقها بصفاته المشينة، وعواقبه الوخيمة.

أما ظاهرة الالتزام الأخلاقي؛ فهي الأصل في الأدب، وهي القانون السائد، والعرف الساري، لضبط الأخلاق؛ لدى شعراء الأندلس، وشاعراتها، وقد ارتكن معظم شعراء الأندلس، وشاعراتها إلي ظاهرة الالتزام الأخلاقي، ودبجوا أجمل الأشعار؛ لتغني بها، ولكن حينما تغيب شمس الالتزام الأخلاقي عن سماء الشعر الأندلسي، فلا شك أن التحرر الأخلاقي، يسطو علي ساحات الشعر، ويسيطر عليها، ويتفشى في أوصاله؛ ليصبح مرضًا مزمنًا، وخطيرًا.

فوجود التحرر كظاهرة إنسانية ، أو سلوك بشري، أو مرض نفسي، قد أشارت له كثير من الدراسات، والبحوث العلمية؛ التي عنيت بهذه الظاهرة، أو هذا السلوك، ولكن ما بصدده هذا البحث، وخاصة هذا المبحث، فهو التأصيل الأدبي لجذور ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي .

إن جذور ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي من فترة الولاية حتى عصر المرابطين، والموحدين في الأندلس، وللوقوف علي أنماط ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي، وموضوعاته، وللوقوف– أيضًا- علي مدى التجديد، والثبات في هذه الموضوعات، لابد من دراسة هذه الظاهرة من عدة نقاط هي كالأتي:-

**أولا :التحرر الأخلاقي في الشعر في فترة الولاية الأندلسية.**

تشير الدراسات الأدبية الأندلسية، والتاريخية، أن فترة الولاية في الأندلس تعد فترة ميلاد لبدايات الأدب الأندلسي، وخاصة الشعر الأندلسي، فبلاد الأندلس حديثة عهد بالفتوحات الإسلامية، في تلك الفترة الزمنية من عمر الأندلس، دخلها الإسلام بتعاليمه السامية، وأخلاقه الكريمة، ومبادئه القويمة، ولغته العربية؛ التي تعد من الروابط القومية العظيمة بين الشعوب العربية، والعامل المشترك بين الحضارات الإسلامية، والعربية علي مر العصور، والأزمنة .

فمن الطبيعي أن يكون النتاج الشعري في هذه الفترة قليلًا جدًا، وربما كان معدومًا، وإن وجد نتاج شعري في هذه الفترة من تاريخ الأندلس، فقد خيم عليه طابع الالتزام الأخلاقي الشديد، وتوصف هذه الفترة؛ بأنها فترة منازعات، وحروب لا فترة أدب، وثقافة، وعلم .

فقد دخل المسلمون الأندلس عندما " كان نشيد طارق في العبور الله أكبر، وظلوا فيها زمنًا طويلاً بهمة عبد الرحمن الداخل، الذي قدم إليه الخمر؛ ليشرب فقال: " إنني محتاج لما يزيد في عقلي؛ لا لما ينقصه، فعرف الناس من ذلك قدره، ولما أهديت إليه جارية حسناء، فقال: بعد أن نظر إليها، إن هذه الجارية من القلب، والعين بمكان، فإن أنا انشغلت عنها بمهمتي ظلمتها، وإن لهوت بها عن

مهمتي ظلمت مهمتي، وكانت مهمته الجهاد، لا حاجة لي بها الآن، فقالوا: إن الأمير ذو همة، وبهذا بقينا في الأندلس."(١)

وبهذا يرسخ عبد الرحمن الداخل أولي المبادئ الصحيحة، والأسس الراسخة لدولة إسلامية في مخاضها الأول في بلاد الأندلس، فقد أراد هذا الفارس العظيم، أن تكون أولي التعاليم الإسلامية الالتزام، وطاعة الرحمن عز وجل، لا أن تكون المعصية، وفساد العقول، وصب كؤوس الخمر،التي تحجب العقول، وتهلك النفوس .

ومن النصوص الشعرية؛ التي تبرز جانب الالتزام الأخلاقي، ما نسب لطارق من شعر، يعبر أصدق تعبير عن هذه الفترة من تاريخ الأندلس، فقد أنشد طارق قائلاً : الطويل

ركبنا سَفِيناً بالمجاز مُقَيَّراً عسى أن يكون الله مِنّا قد اشترى
نُفُوساً وأمولاً وأهلاً بجَنَّةٍ إذا ما اشْتَهَيْنَا الشَّيء منها تَيَسَّرا
ولسنا نُبالي كيف سَالت نُفُوسُنا إذا نحن أدركنا الذي كان أَجْدَرا (٢)

وبهذا تكون فترة الولاية الأندلسية، فترة التزام أخلاقي في الشعر الأندلسي؛ لا فترة تحرر أخلاقي، بل هي فترة عكف المسلمون الفاتحون فيها علي إرساء دعائم الدولة الإسلامية، ونشر تعاليم الدين الإسلامي، دين السماحة، والأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، الذي جعل لكل شيء مبادئ واضحة، وقواعد تحكمه، وتنظمه، وتزجره، حينما يعوج، أو ينحرف عن الصراط القويم .

ولعل أبرز العوامل، التي جعلت الشعر الأندلسي؛ يسمو بأخلاقه الكريمة، وصفاته الحميدة في هذه الفترة، أن الأندلسيين، لم يتأثروا بالمشارقة، بعد، ولم تنفتح بلاد الأندلس علي بلاد المشرق العربي، كما حدث بعد ذلك بقدوم زرياب المغني، وتأثر جلة من شعراء الأندلس، بشعراء المشرق مثل: أبو نواس صاحب الخمريات واللهو... وغيرها من أغراض شعرية؛ التي كان لها بالغ الأثر علي الشعر الأندلسي، وعلي الحضارة الأندلسية .

---

١ - ناصر بن سليمان العمر ، سقوط الأندلس دروس وعبر، www.alkutubcafe.com/book/xCMfmk.html صـ١١

٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٩٧ م . جـ ١ صـ ٢٦٥

**ثانيا: التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي في فترة الإمارة الأندلسية .**

**أولا : فترة تأسيس الإمارة الأندلسية :**

عرف المجتمع الأندلسي، بكثرة أجناسه البشرية المتباينة من العرب الفاتحين، ومن البربر، ومن المسيحيين اللائذين، ومن الفرنجة ... وغيرها من الأجناس البشرية؛ التي ساهمت في تكوين المجتمع الأندلسي، وتشكيله .

ولعل الحياة الأدبية؛ لتلك الفترة من تاريخ الأندلس، شهدت ظهور أول جيل من الأدباء الأندلسيين الحقيقيين، وكذلك ظهور بعض أديبات الأندلس، وتشير - أيضًا- لعدم اقتصار الأدب علي الشعب، فحسب بل شارك فيه الحكام، وأهل السلطة- أيضًا، وظهرت في هذه الفترة- أيضًا- السمات الأولي للشعر الأندلسي، وكان من بين هذه السمات التجديد الموضوعي، والتجويد الفني، والتركيز العاطفي، وتعد هذه السمات من المقاييس المباشرة؛ لرصد ظاهرة التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي.

وقد أشار الدكتور أحمد هيكل في كتابه " تاريخ الأدب الأندلسي" لشعراء هذه الفترة قائلاً: " شعراء هذه الفترة عديدون، وأكثرهم أندلسيون مولدًا، ومنشأ، وثقافة، وأقلهم أندلسيون حياة، وتأثرًا، ونتاجًا، ثم إن بعضهم، قد كثرت أخباره؛ لكونه أميرًا، أو حاكمًا، وقد كان التاريخ، يعني أكثر بالأمراء، والحاكمين علي أن بعضهم الآخر، قد قلت أخباره لكونه؛ لم يتمتع بإمارة، ولا بحكم، وإنما كان من أبناء الشعب، وقد كان التاريخ – مع الأسف الشديد ؛لا يعني كثيرًا بأخبار أبناء الشعب."(١)

ومن أشعار الأمراء، والحكام الأندلسيين؛ تبدو ظاهرة الالتزام في هذه الفترة الزمنية من تاريخ الأندلس، ومن شعراء عامة الأندلس، وأبناء الشعب الأندلسي؛ تلوح ظاهرة التحرر، وتبدو في الشعر، ولكنها لم تكشف عن كل ملامح وجهها القبيح؛ الذي يشوه جمال المعني، وجودة الموضوع.

**ثانيا : فترة صراع الإمارة الأندلسية :**

وقد وثب الأدب الأندلسي- في تلك الفترة- وثبة كبيرة، أتاحت له كثيرًا من النهضة الشاملة؛ التي سيحظي بها في الفترة التالية، وأول ما يلاحظ علي الشعر من تلك الوثبة في هذه الفترة، أنه لم يعد مقصورًا علي ذلك الاتجاه المحافظ؛ الذي كان سائدًا من قبل، بل انفتح الأدب، وظهرت فيه كثير من الفنون الشعرية الجديدة علي المستوي الشعري، فقد ظهرت علي ساحات الشعر فنون شعرية، لم تكن شائعة من قبل مثل: الخمريات؛ التي أظهرت مدى التحرر؛ الذي وصل إليه شعراء هذه الفترة الأدبية من تاريخ الأندلس.

---

١ - الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط الخلافة، أحمد هيكل ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة ١٩٨٥م صـ ٨٩

وإن كان الالتزام الأخلاقي، هو العرف السائد، والميثاق المتبع في الشعر العربي في معظم نصوصه الأدبية؛ إلا أن التحرر الأخلاقي، قد سيطر علي ساحات الأدب الأندلسي- في بعض الأحايين، فمن النماذج ؛ التي تظهر هذا التحرر الأخلاقي؛ ما أنشده الشاعر الأندلسي يحيي الغزال في الخمريات قائلاً:الطويل

وكنت إذا ما الشرب أكدت سماؤهم تأبطت زقي واحتسبت عنائي
ولما أتيت الحان نبهت أهله فهب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع الليل إلا تعلة علي وجل مني ومن نظرائي (١)

ولننظر جميعا إلي ما وصل إليه الغزال في هذه الأبيات من تحرر أخلاقي رهيب، حينما جعل من الخمر سماء مؤكدة،لا شك في وجودها، فحينما تصبح الخمر سمائه؛ فأنها تحجب كل أنوار التقوى، والهداية عنه.

ثم يعلن الغزال عن نيته في تناول الخمر؛ بل عشقه لها، فقد أسرع إلي مكانها الأرضي، بعد أن نظر إلي سمائها، وتحقق من وجودها، وعلي وجه السرعة ينبه الغزال أهل الحان، ولنتأمل قول الغزال، نبهت أهله - أي نبهت أهل الحان- فقد اجتمع أهل الحان علي المعصية، والمجون، وقوله نبهت، يفصح عن غياب عقول أهل الحان .

وحينما يدرك رسول الخمر، وساقيها نداء الغزال، يهب إليه مسرعًا؛ احتفاء به ضيفًا، بل احتفاء بقدومه المستدام للحان، فما كان من الغزال؛ إلا أن ينثني علي ساقيها، بقوله أنه قليل النوم، يسهر علي خدمتهم، وتقديم الكؤوس لهم، وأنه لا ينام؛ إلا قليل جدًا للضرورة القصوى .

وهذا أنموذج آخر من المجون الأندلسية؛ التي تدل علي التحرر الأخلاقي الرهيب؛ الذي كان سائدًا في فترة صراع الإمارة في بلاد الأندلس، فقد أنشد المطرف بن عبد الرحمن الأوسط قائلاً : المجتث

أفنيت عمري في الشرب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا ولا اطلاع صباح
أحيي الليالي سهدا في نشوة ومراح (٢)

فالشاعر- هنا- قد أعلن عن كثير من ملذات الدنيا، وعن دواعي المجون، والتحرر الأخلاقي؛ الذي استهواه، وسيطر علي كيانه، فيقول أنه أفني حياته، وعمره كله في شرب الخمر، ومجالسة النساء الجميلات المليحات .

ونلمس في قول الشاعر، ومجاهرته بالمعاصي، والذنوب؛ التي أفنى فيها حياته جانبًا من الفخر؛ الذي أكده بقوة إرادته في العكوف علي قضاء كل مساء مع

١- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ) الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة ، عام النشر: ١٩٦٧ م صـ ٣٠٦
٢ - نفح الطيب، المقري التلمساني جـ٣ صـ ٥٧٨

كثير من النساء، ومع كؤوس الخمر؛ التي تجعله مغيبًا عن الصباح، والدنيا كله، فهو غارق في نشوته، يمرح، ويلهو دون أي وعي، أو إدراك .

فقد تحرر المطرف بن عبد الرحمن - في هذه الأبيات- من كل القيود الأخلاقية، ومن كل المبادئ، والأسس؛ التي نصحنا بها الإسلام، ودعا إليها مرارًا وتكرارًا، فقد جاهر الشاعر بالمعاصي، والذنوب، وكأنها من دواعي فخره، وسروره في دنيا الملذات، والشهوات.

وقد ألمح الدكتور أحمد هيكل؛ لما شهدته هذه الفترة من التحرر الأخلاقي بسبب بعض المؤثرات، والعوامل المحيطة بالبيئة الأندلسية، والوافدة إليها من الخارج ؛ فقال:" كان الأندلسيون في تلك السنوات، يفتحون عيونهم علي حياة جديدة مترفة، كما كانوا ينعمون بكثير من التحرر في ظلال بعض الأمراء المتحررين مثل: عبد الرحمن الأوسط، وبدأت تكثر بينهم مجالس الموسيقي، والغناء ؛ بفضل ما جاء به زرياب من ألحان، وآلات ، وقيان، وما لاقه من تشجيع، وما بذله من جهود، كما بدأت تكثر فيهم مجالس الشراب؛ بسبب ما أتيح لهم من إنتاج الكروم، وعصر الأنبذة، وترخص في شربها، كذلك بدأت تعرف بينهم علاقات الحب الشاذ، بسبب ما كثر بينهم من غلمان صقالبة، وغير صقالبة ، ثم لما أحاط بالعلاقات والتقاليد من كثير من التحرر وعدم التزمت. " (١)

ومن النماذج الشعرية؛ التي تدل علي مظاهر التحرر الأخلاقي في الشعر الأندلسي– أيضًا- ظهور الغزل بالمذكر بين الأندلسيين، وكأن البيئة الأندلسية، قد غربت شمس النساء عنها، فلم تترك غير الرجال، والغلمان؛ الذين أولع بهم الشعراء، وليس الشعراء، فحسب بل كان من بين هؤلاء الشعراء حكام، وملوك، وأمراء؛ ترصدهم الأدب، والتاريخ، وسجل من هفواتهم العديد في المؤلفات الأندلسية، والأشعار الأندلسية؛ التي ما زالت تشهد علي تحررهم، ومجونهم إلي يومنا هذا، وهذا أنموذج للشاعر الأندلسي ابن السيد البطليوسي: البسيط

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني وهمت في حب عزون، فعزوني
ثم ارحموني برحمون فأن ظمئت نفسي إلى ريق حسون، فحسوني(٢)

وقد ذكر المقري، والسيوطي أن ابن السيد، كان قد أولع بأولاد ابن الحاج، صاحب قرطبة، وهم ثلاثة من أجمل الناس صورة، وهم رحمون، وعزون، وحسون فأعجبه جمالهم، وأخذوا بلبه، حتى قال فيهم الأبيات السابقة .

١- الأدب الأندلسي، أحمد هيكل صـ ١٣٣
٢- نفح الطيب ، المقري التلمساني جـ٣ صـ ٢٨٦

**ثالثا :التحرر الأخلاقي في الشعر في فترة الخلافة الأندلسية .**

لقد عج الشعر الأندلسي في فترة الخلافة بكثير من دواعي التحرر، وقد أشار أحمد هيكل لذلك؛ فقال" فلا تزل الحياة الأندلسية رغم تعلقها، واستقرارها من جانب، تعج بكثير من التحرر، وعدم المحافظة من جانب آخر، فالخمر شائعة بين الأندلسيين شيوعًا يجزع معه الخليفة المستنصر، ويدعو إلي الأمر بإراقتها، والهم باجتثاث كرومها، لولا أن نصح بالعدول عن ذلك لعدم جدواه، فإن الأندلسيين – كما قيل للمستنصر– سوف يستخرجون خمرتهم من أي شيء آخر إذا اجتثت الكروم (١)".

ومن الشعراء الأندلسيين؛ الذين تغنوا بالخمر، ونظموا القصائد فيها، ما أنشده الرمادي الشاعر الأندلسي في قصيدته بموضوعها الخمري، وروحها التحرري، يوضح الرمادي في هذه القصيدة موقف المستنصر من الخمر قائلاً:الوافر

بخطب الشاربين يضيق صدري وتُرْمِضني بليَّتهم لَعَمْرِي
وهل هم غير عشاقٍ أُصيبوا بفقد حبائب ومُنوا بهجرِ (٢)

ومن مظاهر التحرر الأخلاقي- أيضًا- في فترة الخلافة ظهور مرض خطير في البيئة الأندلسية، وهو الغزل بالمذكر، أو الحب الشاذ، ولم يقتصر الغزل بالمذكر علي مجالات اللهو، والمجون فحسب، بل يتعدي ذلك إلي أكثر المجالات، وقارًا واصطناعًا للجد، وهو مجال مدح الخليفة، وقد بلغ الغزل بالمذكر في فترة الخلافة درجة من الإلفة، والشيوع لم يعد معها مستنكرًا؛ حتي في مقام مدح الخليفة نفسه، ومن هذا القبيل ما أنشده الشاعر إسماعيل الكاتب: الكامل

لطفت أناملـه بعقرب صدعه عمدا لبلدغ في فؤاد العاشق
وكأن شاربه هلال طالع قد خطه بالمسك أحذق حازق
وكأنما بجبينه شمس الضحى قد قنعت بظلام ليل غاسق
وكأن وجنته أزاهر روضة يندى بها السوسان فوق شقائق
فإذا تلفت قلت صورة دمية وإذا تبسم قلت حطفة بارق
يا غاية الحسن الذي هو غايتي كيف احتمالي في فؤاد خافق
حكم الإله بما تراه فما أري من حيلة في دفع حكم الخالق
قل للخليفة من أمية والذي ما دون فيض نواله من عائق

١- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ) الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٦٦ م صـ ١٤

٢- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ) صـ١٨

أنسيت من منصورها ورشيدها وفضحت من مهديها والوائق (١)

ومن النماذج التي تشهد علي تحرر الأندلسيين من غطاء الأخلاق الحميدة ؛ إلي غطاء الأخلاق المشينة، وقد رصدت الأشعار الأندلسية كثيرًا من نواحي التحرر الأخلاقي لدى الشعراء الأندلسيين، وكان ابن عبد ربه من بين هؤلاء الشعراء، ويبدو أنه كان محبًا للمتعة في شيء من التحرر الأخلاقي، فكان يشرب، ويطرب، ويلهو، ومما يدل علي ذلك قوله: خفيف

وقَضيبٍ يميسُ فوقَ كثيبٍ طيّبِ المُجتنى لذيذِ العناقِ
قد تَغنَّى كما اسْتَهلَّ يُغنّي ساقُ حرٍّ مغرّدٍ فوقَ ساقِ
يَنثُرُ الدُّرَّ في المسامعِ نثْراً بينَ دُرٍّ منظَّمٍ مُسْتاقِ
وافْتَضَضْنا منَ العَواتِقِ بِكراً نُكحتْ أُمُّها بغَيرِ صَداقِ
ثم بَانَتْ ولم تُطلَّقْ ثَلاثاً لم تَبِنْ حُرَّةٌ بغيرِ طلاقِ
ديْنُنا في السَّماعِ دينُ مَدِيْني وفي شُربِنا الشَّرابَ عِراقي (٢)

ويرسم ابن عبد ربه- في أبياته السابقة - صورة من المتعة، والرفاهية؛ حينما يصف حالة أحد الأغصان؛ وهو يتحرك؛ ويتمايل فوق كثيب طيب المنبت؛ ولذيذ الطعم؛ وقد طفق طائر القماري، يغني عليه، وينثر من حديثه العذب، ونظمه البديع، والرائع، ويستمر ابن عبد ربه في تزين مشهده، وحالته؛ ليجعلها مناسبة للحالة المجونية؛ التي رغب في خوض تجربتها الخادشة للحياء، والأدب، والأخلاق، فقد تحرر الشاعر أخلاقيًا؛ حينما أعلن بدون أن يخجل عن علاقة غير شرعية ببعض الجواري؛ اللائي أنجب منهم بدون زواج، وفي النهاية، يعلن الشاعر عن انتمائه المجوني، ثم ينسب لأهل المدينة السماع، ولأهل العراق شرب الخمر، وهنا قد أظهر الشاعر كثيرًا من المجون، والتحرر الأخلاقي اللاذع .

**رابعا: التحرر الأخلاقي في الشعر في فترة الحجابة الأندلسية :**

وهذه هي الفترة التي كان الحكم فيها من الناحية الرسمية للخليفة هشام الثاني، أما من الناحية الحقيقية، والفعلية، فكان الحكم للحاجب محمد بن أبي عامر، والذي لقب بالمنصور، ثم لابنه عبد الملك؛ الذي خلف أبيه، ولقب بالمظفر، ثم لابنه الثاني عبد الرحمن؛ الذي لقب بالمؤمون .

وقد استطاع المنصور؛ أن يسيطر علي مفاصل الدولة الأندلسية في فترة حكمه، واستطاع- أيضًا- أن يتخلص من كل رجال الدولة الأكفاء؛ الذين استشعر

١- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، المؤلف مجهول، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،الطبعة الثانية ١٩٨٩، صـ ١٤٣

٢- ديوان شعر ابن عبد ربه الأندلسي، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق: محمد التونجي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت ،الطبعة الأولي ١٩٩٣م صـ ١٢٤

المنصور منه الغدر، أو المعارضة، أو الوقوف في طريق سيطرته علي الحكم، والسلطان في بلاد الأندلس.

وقد عادت إلي المجتمع الأندلسي في فترة الحجابة الأندلسية كثيرًا من الأمراض الاجتماعية، والأخلاقية، فقد أدي استخدام المنصور للمرتزقة من البربر، والصقالبة، ومسيحي الإسبان إلي نوع من التحرر الأخلاقي .

وقد أدت كثرة الانتصارات إلي وفرة الغنائم، وكثرة الثروات؛ مما ساعد علي انتشار اللهو، وشيوع الإقبال علي اللذات .

هكذا كان المجتمع الأندلسي في فترة الحجابة مجتمعًا فيه استقرار، وثراء وحضارة، وترف من جانب، وفيه طبقية، وعنصرية، وطمع، وكراهية، ونفاق، ولهو، وتحرر من جانب آخر.

لقد تجمدت بعض الأغراض الشعرية في هذه الفترة، ولم يصيبها كثير من التجديد، والتطور، وبعضها طمس، واختفى في حين كان بعضها الآخر أوفر نصيبًا، وأكثر حظًا، وأشد نشاطًا، ومن تلك الأغراض؛ التي كانت علي حظ موفور من النشاط، والانتشار في فترة الحجابة الأندلسية المجون الأندلسية، فقد دبج كثير من شعراء تلك الفترة كثيرًا من الأشعار؛ التي تدعو إلي الخمر، والشراب، ووصف مجالس اللهو، والأنس، ووصف الحديث عن اللذائذ، والمتع؛ التي تكشف عن كثير من التحرر، والإسفاف الأخلاقي .

وقد نشط هذا الغرض الشعري نتيجة لشيوع التحرر في المجتمع الأندلسي، وميله إلي اللهو، وإقباله علي المتع الحسية، من شراب ورقص، واقتناء لحسان الجواري، ممن كثر سبيهن ضمن ما كان يسبى في الانتصارات الحربية الكثيرة.

وهذا أنموذج لذلك أنشده الشاعر ابن شهيد من أشعار المجون؛ التي تظهر تحرر الشاعر، ومجونه، فقد كتب عبد الملك بن شهيد إلي الخليفة المنصور في يوم قر، فقال: المنسرح

أما ترى برد يومنا هذا ... صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به ... حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطلبا ... نغذ سيرا إليك إغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه ... تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبال أبا العلاء زها ... بخمر قطربل وكلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا ... دع دير عمي وطيز ناباذا(١)

١- بدائع البدائه، علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي (المتوفى: ٦١٣هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠م صـ ٢٠٠

قال ابن بسام " وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم علي الإنفراد بالعيال، فأمر بإحضار الأصحاب، وأحضر الوزير أبا مروان( عبد الملك بن شهيد ) وأخذوا في شأنهم، فمر يوم من الطيب، لم يشهد، وألوان من اللهو، لم تعهد." (١)

ومن أشعار المجون؛ التي تظهر الحالة، التي وصلها المجتمع الأندلسي من التحرر الأخلاقي في الشعر، ما أنشده- أيضًا- عبد الملك بن شهيد، والمنصور في أمر جارية من الجواري، وكان ابن شهيد، قد تخلف عن غزوة ، فكتب إلي المنصور بعد عودته بالسبي؛ يطلب منه أن يهديه بعض الحسان ممن سبين في تلك الغزوة، فكان مما قاله: الخفيف

أنا شيخ والشيخ يهوي الصبايا فبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفي ء لمن لم يخبّ فيه المطايا
فاجعلنّي فديت أشكر معرو فك وابعث بها عذاب الثّنايا (٢)

وقد برز علي الساحة الشعرية كثيرًا من شعراء هذه الفترة الأندلسية؛ الذين دبجوا كثيرًا من نتاجهم الشعري؛ الذي أفصح عن كثير من التحرر الأخلاقي، وكان الرمادي من بين هؤلاء الشعراء، فقد كان في أخلاقه كثير من الجرأة، وفي سلوكه كثير من الاستهتار، ومن مظاهر جرأته، وتحرره نقده السياسي، الذي ورطه مع الخليفة المستنصر، ثم الحاجب المنصور، وله شعر كثير في الخمر، والدفاع عنها، وفي الغلمان، والتشبيب بهم، وله- أيضًا- مجاهرات بألوان من السلوك، لا يجاهر بها غير المستهترين، ومن هذا قوله في غلام مسيحي: السريع

قبلته قدام قسيسه شربت كاسات بتقديسه
يقرع قلبي عند ذكري له من فرط شوقي قرع ناقوسه(٣)

لقد تحرر الرمادي في هذه الأبيات من كل القيود الأخلاقية، وأسس الدين الإسلامي، والمسيحي، فهو يعلن جهرًا تقبيله للغلام المسيحي؛ الذي أولع بحبه؛ حتى دفعه هذا الحب، والشوق إلي تقبيله جهرًا أمام رمزه الديني، وهو قسيسه، وقد نال الرمادي كؤوس من الخمر مكافأة تقبيله هذا الغلام، ويواصل الرمادي تغزله في غلامه؛ واصفًا حالة القلب في هذه الأثناء.

**خامسا : التحرر الأخلاقي في الشعر في عصر ملوك الطوائف الأندلسيين .**

تأثر الشعر بأحداث الفتنة الطاحنة تأثرًا واضحًا، وكان هذا التأثر شرًا علي بعض الأنواع الأدبية، وخيرًا علي بعضها الآخر، ومن مظاهر الشر؛ التي ارتبط بها التحرر الأخلاقي ارتباطًا وثيقًا؛ انتشار أدب التلهي، والنفاق، والتفاهة،

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني(المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، الطبعة الأولي ١٩٧٨م، القسم الرابع جـ٧ صـ٢٧
٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني قـ ٤ ، جـ ٧ صـ ٢٩
٣- نفح الطيب، المقري التلمساني جـ٤ صـ ٤٠

ومن هذا القبيل؛ الذي تحرر فيه الشاعر من الالتزام الأخلاقي إلي التحرر الأخلاقي؛ ليمس المبادئ، ويهدم القيم، ما أنشده الشاعر عبادة بن ماء السماء قائلاً : السريع

فهل تري أحسن من أكؤس ... يقبل الثغر عليها اليدا
يقول للساقي اغتبق لي بها ... وخذ لجينا وأعد عسجدا
أغرق فيها الهم لكن طفا ... حبابها من فوقها مزيدا
كأنما شيبها شارب ... أمسكها في كفه سرمدا (١)

فالشاعر هنا تحرر من أخلاقه، ويعلن عن تفضيله كؤوس الخمر، التي قبل الشاعر من أجلها اليد، ويطلب من ساقي الخمر؛ أن يداوم علي صب الكؤوس له؛ حتى تصبح الخمر بحرًا؛ يغرق الشاعر فيه كل همومه .

ومن مظاهر التحرر الأخلاقي- أيضًا- أن والد الْكَاتِب أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن أَحْمد الداني كَانَ شُرطيّاً بدانية، لكن أبا جعفر تميَّز بالأدب في عصر ملوك الطوائف، وقد قَالَ أبو جعفر فِي أَخِيه، وكان وزيرًا، وَكَانَ أبو جعفر يكثر من هجاء أخيه، وفيه أنشد قائلاً: بحر مجزوء الرمل

جارَ ذَا الدهرُ علينا ... وَكَذَا الدهرُ يجورُ
كَانَ شُرطيّاً أَبونَا ... وَأخي اليومَ وزيرُ
أَنا مأبونٌ صغيرٌ ... وَهُوَ مأبون كبيرُ(٢)

فالشاعر-هنا- يتهم الدهر، أنه قد جار عليه، وظلمه حيث كان أبوه شرطيًا، وأخيه وزيرًا، وهو ممن اشتغل بالأدب، ولكن الشاعر يعلن عن سوء أدبه، حيث يقول: أنه مأبون صغيرًا، ووكان أخيه مأبون كبيرًا، وقد كان ذلك قمة التحرر الأخلاقي من الشاعر، وهذا أنموذج للتحرر الأخلاقي للشاعر السميسر في النسيب، فقد أنشد قائلاً : مجزوء الكامل

بين الأزرة والمآزر ... حسن تحن له الأكابر
فإذا نظرت إلى الخدو ... د رأيت أنواع الأزاهر
وإذا تأملت الثغو ... ر وما لناظمهن ناثر
أبصرت دراً يغتذي ... خمراً وما للخمر عاصر
وإذا تأملت المآ ... جر تحتها دعج المحاجر
خلت المنية أقبلت ... من جيش صقلب والبرابر(٣)

فالشاعر يتغزل قائلاً: يكمن جمال المحبوبة بين الأزرة، والمآزر، وهذا الجمال، تحن له الأكابر، فإذا نظرنا للخدود، فهي من أجمل ما يكون، ويواصل

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني قـ١ ، جـ ١ صـ ٤٧٣
٢- المصدر السابق قـ٣ جـ ٦ صـ ٧٥٨
٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني قـ ١جـ ١ صـ ٨٩٧

السميسر، تغزله في شيء من التحرر الأخلاقي الرهيب، ومن الإفراط في مدح العذار قول ابن غصن الحجاري: الوافر

فديتك لا تخف مني سلوا إذا ما غير الشعر الصغارا
أدين بدين خل كان خمراً وأهوى لحية كانت عذارا(١)

فابن غصن الحجاري - في هذه الأبيات- يخاطب المحبوبة، ويقول لها لا تخف مني؛ إن كان الشعر غيرني بعد صغري، ولكن رغم هذا؛ فأنا أدين بدين صديقي، وهنا- تبدو أشد مظاهر التحرر الأخلاقي، فدين صديقه الخمر، التي حرمها الله سبحانه وتعالي .

**سادسا :التحرر الأخلاقي في الشعر في عصر المرابطين والموحدين الأندلسيين.**

وجد التحرر الأخلاقي في عصر المرابطين، والموحدين نفس العوامل، التي وجدها في الفترات التاريخية السابقة من حياة الدولة العربية في الأندلس، وقد شارك التدهور السياسي، والتفكك الاجتماعي، والسياسي - في هذه الفترة التاريخية - في اختفاء الأخلاق الكريمة والحميدة؛ لدى كثير من شعراء الأندلس، وغرق كثير من هؤلاء الشعراء في اللهو، ونعيم الحكام؛ الذين سعوا إلي استمالت بعض الشعراء لنصرتهم، والدفاع عن سياستهم، وتوجهاتهم" إن الأندلسيين في أواخر أيامهم، ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم، وناموا في ظل ظليل من الغنى، والحياة العابثة، والمجون، وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر، فذهبت أخلاقهم كما ماتت فيهم حمية آبائهم البواسل، الذين كانوا يتدربون على السلاح منذ نعومة أظفارهم، ويرسلون إلى الصحراء؛ ليتمرَّسوا على الحياة الخشنة الجافية، وغدا التهتك، والإغراق في المجون، واهتمام النساء بمظاهر التبرج، والزينة، والذهب، واللآلئ."(٢)

وقد انتشرت المساجلات الشعرية، والهجائية بين بعض الشعراء الأندلسيين، وبين بعض الشاعرات الأندلسيات؛اللاتي حظين بحرية، لم تحظ بها المرأة الأندلسية من قبل، ومن هذه النماذج ؛ ما أنشدته حفصة بنت الحاج الركونية في الكتندي الشاعر، وقد تحررت حفظة من أخلاقها قائلة: مجزوء الرجز

قُل للّذي خلّصنا منهُ الوقوع في الخرا
إرجع كَما شاءَ الخرا يا إبن الخرا إلى وَرا
وَإن تعُد يوماً إلى وِصالنا سوفَ تَرى
يا أسقطَ النّاسِ ويا أَنذلهم بِلا مرا
هذا مَدى الدهرِ تلا قي لو أتيتَ في الكرى
يا لحيةً تشغفُ في ال خرءِ وتشنا العَنبرا

١- المصدر السابق قـ١ ، جـ٢ صـ ٩٠١
٢- دولة الموحدين، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار البيارق للنشر، عمان صـ٢٩٤

لا قـــــــرّب اللهَ اِجتمـــــــا عـــــاً بـــــكَ حتّـــــى تقبـــــرا(١)

فقد استخدمت حفظة من الألفاظ أقبحها، ومن التعبيرات أسوءها، فقد عبرت عن سوء حالة الكتندي؛ الذي خلصها منه الوقوع في الخرا، وتنصح حفظة الكتندي بالرجوع إلي الوراء، مثلما يكون عند أفرز الإنسان فضلاته من الوراء، وهذا يدل علي سوء مكانة الكتندي، والنيل من قدره، ثم تواصل حفظة هجائها للشاعر، والنيل من قدره .

ومن التحرر الأخلاقي-أيضًا- في الدولة المرابطين؛ ما أنشدته نزهون القلاعية الغرناطية من أهل غرناطة، أديبة، أنشدت من شعرها، وقد خطبها رجل قبيح، وذكر أن حبه لها، قد قاده إلى خطبتها، فقالت: بحر المتقارب

عَـــذيري مِـــن عاشـــقٍ أنـــوك ســـــفيهِ الإشـــــارة والمنـــــزعِ
يَـــرومُ الوصـــال بمـــا لـــو أتـــى يـــروم بـــهِ الصـــفع لـــم يصـــفعِ
بـــــرأسٍ فقيـــــر إلـــــى كيّـــــة ووجـــــه فقيـــــر إلـــــى برقـــــعِ(٢)

ومن التحرر الأخلاقي الرهيب؛ الذي تنعدم معه الأخلاق الحميدة، والصفات الكريمة؛ ما أنشده ابن الزقاق البلنسي، حينما أنشد هاجيًا لأحد الأشخاص؛ ممن يدعون أنهم ينتسبون إلي قريش- علي الرغم من- أنهم أدني للذم عمًا، وخالاً، ومن الساقطين، والأرذال، وفي هذا أنشد ابن الزقاق قائلاً : الخفيف

أيُّهـــا المعتـــزى لـــرهط قـــريش وهـــو أدنـــى للـــذمِّ عمَّـــاً وخـــالا
حـــاش لله أن تكـــون قـــريشٌ تلـــــــدُ الســـــــاقطين والأرذالا
كنـــــتَ والله ذا قـــــدومٍ علينـــــا لـــــو جعلنـــــا ...(٣) أرســـــالا(٤)

وقد استخدم الشاعر في أبياته كثير من الألفاظ النابية، والبذيئة؛ التي تخدش الحياء، وتمس الأخلاق، وقد نهي الدين الإسلامي بتعاليمه عن ذلك كثيرًا مرارًا، وتكرارًا .

---

١- نفح الطيب، المقري التلمساني جـ ٤ صـ ١٧٥

٢- تحفة القادم، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م صـ ٢٣٧

٣- الكلمة المحذوفة ( أُيورنا)

٤- ديوان شعر ابن الزقاق البلنسي، ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق: عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة للطباعة والنشر،ط الأولي ١٩٨٩م صـ

**المبحث الثاني: التحرر الأخلاقي في الشعر لدى الرجل والمرأة الأندلسية "**

**أولاً- التحرر الأخلاقي لدى الرجل في الشعر الأندلسي .**

**أ- التحرر الأخلاقي لدى أهل السلطة والحكام في الشعر الأندلسي .**

لقد تعاقب علي السلطة الأندلسية كثير من الحكام، والأمراء، وأهل السلطة، وقد شهدت الأندلس من هؤلاء الحكام فترات متباينة، ففي كثير من الأحايين، التزم بعضهم الأخلاق الحميدة في أقوالهم، وأفعالهم، وتنحى عنهم التحرر بكل أشكاله، وصوره، ولكن هذه الفترات، لم تكن ذات عمر طويل، فسرعان ما ظهر علي ساحات الحكم، والسلطة ملوك، وأمراء، وحكام لا هم لهم سوى السلطة والجاه، وسعوا وبكل قوة وراء الترف، واللهو، والتنعم في خيرات الأندلس، وملذاتها، ونسوا أن بأيديهم أمور الرعية، وغفلوا عن كونهم قدوة ، يقتدي بها القاصي، والداني، وتسرب إلي نفوسهم حب الشهوات، والرغبات، وأحاطتهم دواعي التحرر الأخلاقي، وودعتهم مبادئ الالتزام الأخلاقي.

فهؤلاء عاشوا في رغد من العيش، فبنوا القصور الفخمة، وظهرت عليهم مظاهر المجون، والترف الممقوت، وغرقوا في حياة الدعة، والنعيم.

فقد لعبت مجالس الأمراء، والخلفاء، والملوك علي انتشار كثيرًا من تحررهم الأخلاقي، وهذا أنموذج لذلك، فقد جلس الخليفة الناصر يومًا مع بعض خاصته، وفيهم الوزير ابن جهور، والشاعر أبو القاسم لب، فأراد الخليفة أن يداعب جلساءه؛ فطلب من الشاعر أن يهجو الوزير ابن جهور، فامتنع خوفًا علي نفسه من سلطان الوزير، فطلب من الوزير هجاء الشاعر، فامتنع خوفًا علي عرضه من لسان الشاعر، فقال الناصر، فأنا أهجوه، وأنشد قائلاً: السريع

لب أبو القاسم ذو لحية طويلة في طولها ميل(١)

ثم قال لابن جهور: لابد من تذليل هذا البيت، ودع الاعتذار، فقال : السريع

وعرضها ميلان إن كسرت والعقل مأفون ومخبول

لو أنه احتاج إلي غسلها لم يكفه في غسلها السيل(٢)

فضحك الناصر، وقال للشاعر المهجو: إنه قد سبب لك القول فقل، فأنشد قائلاً:السريع

قال أمين الله في خلقه لي لحية أزري بها الطول

وابن عبير قال قول الذي مأكله القرضيل والفول

---

١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ) تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م جـ ٢ صـ ٢٢٧

٢- المصدر السابق جـ٢ صـ ٢٢٧

لـو لا حيـائي مـن أميـر الهـدي نخسـت بـالمنخس " شـو" ... (١)

ثم أمسك عن الحديث، ولم يتم البيت بعد كلمة " شو " فقال له الناصر " قولو"فقال الشاعر: أنت هجوته يا مولاي، وأمر له بصلة. (٢)

من النماذج التي تشير إلي التحرر الأخلاقي؛ الذي حل علي شعراء الأندلس، ووزرائها، وأمرائها، أن وفدا الوزيران أبو عثمان ابن شنتفير، وأبو عامر ابن عبد شلب رسولين علي المعتمد بن عباد، عن إقبال الدولة بن مجاهد، والمعتصم بن صمادح، والمقتدر بن هود؛لإصلاح ما كان بين المعتمد، وبين ابن ذي النون، فسر المعتمد بهم، وأكرمهم، ودعاهم إلى طعام صنعه لهم، وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك، فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب، فلما أمر بكتابة أجوبتهم كتب إليه أبو عامر: الخفيف

بقيـت حاجـة لعبـد رغيـب لـم يـدع غيرهـا لـه مـن نصـيب
أنـا خيريـة المسـاء حـديثا وأنـا فـي الصـباح أخشـى رقيبـي
فـإذا أمـس كـان عنـدي نهـارا لـم تخفنـي عليـه بعـد الغـروب
وإذا الليـل جـن حـدثت جلاسـي بمـا كـان مـن حـديث عجيـب
قيـل إن الـدجى لـديك نهـار وكـذاك الـدجى نهـار الأريـب
فتمنيـت ليلـة لـيس فيهـا لـذكا ذلـك السـنا مـن مغيـب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيني مـداما كمثـل ريـق الحبيـب
ثـم أغـدو كـأنني كنـت فـي النـوم وأخفـي المنـام خـوف هزيـب(٣)

فالشاعر-هنا- يعلن عن رغبته في تناول الخمر، قائلاً أنها الحاجة؛ التي مازالت آخر أمانيه من المعتمد، ويستمر الشاعر في وصفه لمزايا الخمر، وشوقه لها، ويعلن الشاعر عن سعادته الغامرة ؛ حينما يشربها، فسر المعتمد، وانبسط بانبساطه، وضحك من مجونه، وكتب إليه قائلاً: الخفيف

يـا مجابـا دعـا إلـى مسـتجيب فسـمعنا دعـاءه مـن قريـب
إن فعلـت الـذي دعـوت إليـه كنـت فيمـا رغبـت عـين رغيـب (٤)

واستحضره، فنادمه خاليًا، وكساه، ووصله، وانقلب مسرورًا، وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتفير، فأعلم بالأمر القائد ابن مرتين، فكاد يتفطر حسدًا، وكتب إلى المعتمد قائلاً: الخفيف

أنـا عبـد أوليتـه كـل بـر لـم تـدع مـن فنـون بـرك فنـا
غير رفع الحجاب في شربك الراح فمـاذا جنـاه أن يتجنـى

١- المصدر نفسه جـ ٢ صـ٢٢٧
٢- وردت هذه القصة والابيات التي جاءت ضمنها في : نفح الطيب جـ ٣ صـ ٦١٧، ٦١٨
٣- نفح الطيب ، المقري التلمساني جـ ٣ صـ ٤٠٦
٤- المصدر السابق جـ ٣ صـ ٤٠٦

وتمنى شراب سؤرك في الكأس فبالله أعطه ما تمنى(١)

وهنا- يعلن ابن مرتين عن كرم المعتمد، وأنه غمره بكل كرمه، وفضله، ولكن بقي شيء يتمناه، ويرغب فيه، وهو شرب الخمر مع المعتمد، وفي النهاية يقسم ابن مرتين علي المعتمد، أن يحقق أمنيته، فسرته أبياته، وأجابه: مجزوء الخفيف

يا كريم المحل في كل معنى والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر تبتغيك فخذها أو فدعها أو كيفما شئت كنا(٢)

وهنا- نتأمل ما أفصحت عنه أبيات المعتمد، وأبيات ابن مرتين، وكلاهما أهل سلطة، فهم من ملوك الأندلس، وأمرائها؛ الذين تأخذ منهم القدوة، وإليهم ترجع المشورة، ولكنهم تحرروا من قيودهم الاخلاقية في حديثهم عن الخمر، فالمعتمد يخاطب ابن مرتين قائلاً: يا كريم المحل في القول، والفعل، هذه الخمر تبتغيك فخذها، أو دعها، أو أفعل بها ما تشاء .

**ب: التحرر الأخلاقي عند أهل الأدب والعلم والثقافة الأندلسيين .**

شهد الأدب الأندلسي كثير من الشعراء، والأدباء، والعلماء، والمثقفين الأندلسيين؛ الذين أثروا الشعر الأندلسي بكثير من النتاج الشعري؛ الذي تباين بين مظاهر الالتزام الاخلاقي، ومظاهر التحرر الاخلاقي، ومنهم من بدأ متحررًا أخلاقيًا لاهيًا؛ ثم سرعان ما عدل عن سلوكه، والتزم ، وعاد إلي الزهد، والأخلاق الكريمة، ومنهم – أيضًا- من لازمه اللهو، والتفاهة، والمجون، والفجور، وودع الدنيا تاركًا خلفه ما يشهد بتدني خلقه، وأخلاقه .

" ومن مظاهر التحرر الزائد ظهور عدد من الشاعرات الأندلسيات الرجلات اللائي نظمن شعرا مكشوفا مليئا بأسباب البناءة وألفاظ السوقة ...وتجاوزن التحرر إلي يعرف بالثورة علي الأعراف والتقاليد " (٣)

ومن النماذج لبعض الشخصيات الأدبية، والشعرية، التي توضح جانبًا من التحرر الأخلاقي، ومن بين هذه الشخصيات ابن عبد ربه الشاعر الأندلسي المشهور، ويبدو أن ابن عبد ربه كان في شبابه محبًا للمتعة في شيء من التحرر الأخلاقي، فكان يشرب، ويطرب، ويلهو، ومما يدل علي تحرره في بداية حياته قوله: خفيف تام

بزمامِ الهوى أَمُتُّ إليهِ وبحُكم العُقارِ أَقضي عليهِ
بأبي مَنْ زَها عليَّ بوجْهٍ كادَ يَدْمى لمَّا نظرتُ إليه

١- نفح الطيب ، المقري التلمساني جـ ٣ صـ ٤٠٦
٢- المصدر السابق جـ ٣ صـ ٤٠٧
٣-مظاهر التحرر النسوي في الأندلس – اجتماعيا ، ثقافيا ، سياسيا ، بالمجلد ١٣ عدد ١ عام النشر ٢٠٢١م صـ ٣٦

كلّمـا علّنـي مـنَ الـرَّاحِ صِـرْفاً  علّنـي بالرُّضـابِ مِـنْ شَـفَتيهِ
نـاولَ الكـأسَ واسْـتمالَ بلحـظٍ  فَسـقَتْني عَينـاهُ قَبـلَ يَديـهِ (١)

وتظهر الأبيات السابقة الجانب المتحرر من حياة ابن عبد ربه، ونلمس– أيضًا- أنموذجًا لعبد الملك بن شهيد، وهذا النموذج يشهد علي تحرره ، ومجونه بشأن بعض الجواري، حينما أنشد قائلاً : خفيف

قَـدْ فَضَضْـنا خِتَـامَ ذَاكَ السِّـوارِ  واصـطَبَغنا مـن النَّجِيـعِ الجـارِي
ونَعَمْنـا فـي ظِـلِّ أَنْعِـمِ لَيْـلٍ  وَلَهَوْنـا بالبَـدْرِ ثُـمَّ الـدَّرَارِي
وقَضَـى الشَّـيْخُ مـا قَضَـى بِحُسـامٍ  ذِي مَضَـاءٍ عَضْـبِ الظُّبَـى بَتَّـارِ
فاصْـطَنِعْني فلَسْـتُ أَجْزِيـكَ كُفـراً  واتَّخِـذْني سَـيْفاً عَلَـى الكُفَّـارِ(٢)

ومن النماذج الشعرية- أيضًا- التي تشهد بالتحرر الأخلاقي للمجتمع الأندلسي، وعدم التزامه أخلاقيًا في كثير من الحالات، ما أنشده أحد الشعراء قائلاً: السريع

اقتـرب الوعـد وحـان الهـلاك  وكـل مـا تحـذره قـد أتـاك
خليفـة يلعـب فـي مكتـب  وأمـه حبلـي وقـاض ... (٣)

ومن النماذج المشينة، والمخزية؛ التي تنم عن الفساد الأخلاقي؛ والفساد القيمي؛ الذي أصاب المجتمع الأندلسي، أن مجموعة من الأدباء دخلوا دار الأديب أبي مروان بن الصقيل اليابري، فرأوا في بيته سيفاً معلقاً، فقالوا له: أي شيء تصنع بهذا السيف- فقال: أعددته للمخانيث العتاة نظرائكم، فاهتبل بعضهم غرته؛ حتى أهز السيف، ثم قاموا به عليه، وقال: والله لنقتلنك، أو تكتب لنا كتابًا بخط يدك، يتضمن أنا هتكنا حريمك، وعجمنا ميمك؛ ولما رأى الجد، ولم يجد من بد، كتب لهم بذلك خط اليد، فخاطب أبو عمر بهذه الأبيات بعض إخوانه: ابن برلوصة: السريع

زرنـا أبـا مـروان شـيخ المجـون  ونحـن لا نـدري سـوى الظـرف ديـن
فقـام يـدعونا إلـى نفسـه  بـدمعٍ جـارٍ وصـوت حنـين
قلنـا لـه قـد يرفـع الـدهر مـن  آهٍ ونـدريك رفيـق اللـدين
وممكـن أن تتناسـى لنـا  ذلـك أو تلفـى مـن الجاحـدين
اكتـب لإخوانـك رفقـاً بهـم  صـكاً بمـا عنـدك يسـتظهرون
فـإذ قضـانا صـكنا وانحنـى  قمنـا علـى منبـره منشـدين
سـبحان مـن سـخر هـذا لنـا  منـه ومـا كنـا لـه مقـرنين (٤)

١- ديوان شعر ابن عبد ربه الأندلسي، ابن عبد ربه الأندلسي صـ ١٦٩ ، ١٧٠
٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني قـ٤ جـ٧ صـ ٣٠
٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي جـ ٢ صـ ٢٨٠
٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ق٢جـ٤ صـ ٨٠٦

فقال أبو مروان بن الصيقل في ذلك: السريع

يـا رب مفعـولين قـالوا أعطنـا ... خـط يـد فـي أننـا فـاعلون
قلـت لهـم خطـي مبـاح لكـم ... أكتـب فيـه كـل مـا ترغبـون
فمـن رأى الخـط الـذي هـم بـه ... قبـل اشـتهار الأمـر مسـتظهرون
يشـهد بـأن الخـط واللفـظ لـي ... وأنهـم فـي قـولهم يكـذبون(١)

وانتهت الأبيات إلى الفقيه أبي عبد الله بن القلاس، فكتب إلى ابن الصيقل بأبيات منها هذه الأبيات، فأنشد قائلاً : السريع

قـل لأبـي مـروان شـيخ المجـون ... شـاعر ذا العصـر العزيـز القـرين
قـال ابـن فـتح إنـه كـان قـد ... ولـم يقـل أكثـر للمخبـرين
وقـد حكـى أنّ لـه شـاهدي ... عـدلٍ علـى ذاك مـن الصـالحين
فـإن يكـن حقـاً فـلا تكتئـب ... إبلـيس جـان مثـل ذا كـل حـين
فـالعزم أن تقصـده ضـارعاً ... إليـه سـراً فسـعاه يلـين
واسـأله أن يسـتر مـا جـاءه ... فـان أبـي فاجحـد وزده يمـين(٢)

فأجابه ابن الصيقل بأبيات منها: السريع

أهكـذا يفعلـه الصـالحون ... تقبـل أيمانـاً مـن الفاسـقين!
لا تعتقـد مـن شـاعر لفظـةً ... ولـو غـدا مـن أزهـد الزاهـدين
يريـد أن يخفـي صـبحاً وهـل ... يخفـى سـنا الصـبح علـى النـاظرين
إن كـان غرتـك يمـين لـه ... واحـدة خـذني بـألفي يمـين(٣)

وتظهر الأبيات السابقة مدى التحرر الأخلاقي، الذي بلغه شعراء، وأدباء الأندلس في هذه الفترة التاريخية من تاريخ الدولة العربية في الأندلس .

ومـن نمـاذج الأدبيـة للتحـرر الأخلاقـي- أيضًـا - ظهـور المشـاحنات الشعرية، والتهاجي الفج، ونشوب كثير من المساجلات الأدبية بين بعض الشعراء وبعضـهم، وبـين بعـض الشـعراء، وبعـض الشـاعرات؛ مثلمـا حـدث بـين الشـاعرة الأندلسية نزهون بنت القلاعي الغرناطية(٤) وبين ابن سهل اليكي من مهاترات أدبية، ومن هذه النماذج ما كتبه أحد الفتيان من شعر للخفاجي يعرض فيه بسببه، فوقع الخفاجي على ظهر رقعته قائلاً: الكامل

---

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ق٢جـ٤ صـ ٨٠٧
٢- المصدر السابق ق٢جـ٤ صـ ٨٠٧
٣- المصدر نفسه ق٢جـ٤ صـ ٨٠٧
٤- نزهون بنت القلاعي الغرناطية ? - ٥٥٠ هـ / ? - ١١٥٥ م شاعرة أديبة خفيفة الروح جميلة، أندلسية. من أهل غرناطة.لها أخبار ومساجلات مع بعض شعراء عصرها.

ومعـرض لـي بالهجـاء وهجـره جاوبتـه عـن شـعره فـي ظهـره
فلـئن نكـن بـالأمس قـد لطنـا بـه فـاليوم أشـعاري تلـوط بشـعره(١)

وقد تحرر الخفاجي- في أبياته أنفة الذكر- من أخلاقه تحررًا شديدًا يدل علي مدي الانحلال، والتدهور الأخلاقي، والقيمي؛ الذي أصاب الحياة الأدبية في الأندلس، فقد استخدم الخفاجي ألفاظًا نابية خارجة عن حدود الأدب، وقد استخدم علاقة غير شرعية، ينهى الدين عنها، وترفضها القيم، والأخلاق، وهي علاقة اللواط؛ التي تعبر عن حالة من التوتر، والقلق بين شعراء الأندلس بعضهم بعض وبين أهل الأدب، والثقافة الأندلسية.

**ثانيًا : التحرر الأخلاقي عند المرأة في الشعر الأندلسي .**

**أ : التحرر الأخلاقي عند الأميرات والملكات في الشعر الأندلسي .**

لقد حظيت الأميرات، والملكات الأندلسيات، وبنات الملوك، والوزراء، والأمراء الأندلسيين بحرية ؛ لم تحظ بها المرأة الأندلسية من قبل، فشاركت الأميرات، وزوجات الأمراء، والملوك في سياسة الدولة، وشاركن- أيضًا- في الأدب، ونلن مكانة أدبية عظيمة، وظهر العديد من الشاعرات الأندلسية البارعات في الشعر.

وقد ساعدت الحرية؛ التي نالتها المرأة الأندلسية في ظهور كثير من تحررها الأخلاقي في الشعر، بل منهن من تجاوز حدود الأدب، وتعاليم الدين الإسلامي في تحررهن الأخلاقي، وهذا النموذج هو ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله ، وكانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن: الوافر

أنـــا والله أصـــلح للمعـــالي وأمشـــي مشـــيتي وأتيـــه تيهـــا(٢)

وكتبت على الطراز الأيسر: الوافر

وأمكـن عاشـقي مـن صـحن خـدي وأعطـــي قبلتـــي مـــن يشـــتهيها(٣)

والمتأمل لأبيات ولادة يجد فيها حرية، وتحرر أخلاقي، لم يكن مسبوقًا من قبل، بل يجد في هذه الأبيات تناقضًا عجيبًا، فكيف تزعم ولادة، أنها صاحبة المعالي، والقدر الرفيع، ثم تمشي، وتفعل ما تشاء، بل تمكن عاشقها من صحن خدها، وتعطي قبلتها لمن يشتهيها، إنه التحرر الأخلاقي في أقبح صوره، ومعانيه.

---

١- المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي(المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥جـ ٢ صـ ٣٧١

٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ق١جـ١صـ ٤٢٩

٣- المصدر نفسه ق١ جـ ١ صـ ٤٢٩

وقد كشفت ولادة عن تحررها الأخلاقي الرهيب، والمشين؛ الذي فاق حدود الأدب، حينما لقبت ابن زيدون بالمسدس، وقد كانت هذه الألقاب من أقبح ما يكون من صفات الأخلاقية، فهي صفات تورث العار، وتقضي علي كل فضيلة، صاحبها منبوذ من مجتمعه، وعليه يقع الإثم من الجميع، ومن هذه الصفات المشينة، أنشدت ولادة قائلة عن ابن زيدون : الوافر

ولقبت المسدس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطي ومأبون وزان وديوث وقرنان وسارق(١)

وواصلت ولادة هجومها، وهجائها علي ابن زيدون في شيء من التحرر، والحرية المفرطة، والتدني الأخلاقي الرهيب؛ الذي ما كان أن يصدر عن أديبة، وشاعرة، وابنة الملوك، والوزراء بهذه الفجاجة، والسفاهة، ولكن هذا كان دافعه مرارة الخيانة، فابن زيدون تركها، ونظر لخادمتها، فأنشدت قائلة : السريع

إن ابن زيدون على فضله يغتابني ظلماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً إذا جئته كأنني جئت لأخصي علي(٢)

وقالت فيه أيضًا: السريع

إن ابن زيدون على فضله يعشق قضبان السراويل
لو أبصر... (٣) على نخلة صار من الطير الأبابيل(٤)

يبدو أن ولادة وجدت متعة في هجاء الرجال، والشعراء بأقبح الألفاظ، بل كانت تجد متعتها؛ حينما تنال من شرفهم، وشرف أهلهم، فقد قالت تهجو الأصبحي، وتنال من شرفه، وكرامته، ما جعل شعرها بصمة عار، لا تمحي من تاريخ الأصبحي، فقد أنشدت فيه قائلة: السريع

يا أصبحي اهنأ فكم نعمة جاءتك من ذي العرش رب المنن
قد نلت باست ابنك ما لم ينل براج بوران أبوها الحسن(٥)

وهذا أنموذج - أيضًا - من شعر ولادة لصفاء علاقتها مع ابن زيدون، فقد أولع بها ابن زيدون، بعد طول انتظار، فكتبت إليها تدعوه للقائها، ووصلها بعد طول هجرها، وتمنعها، ولكنها كانت-أيضًا- حين صفائها مع ابن زيدون في أشد حالات تحررها الأخلاقي، فقد وعدته بزيارة في جوف الليل البهيم؛ الذي لا يفصح

---

١- نفح الطيب، المقري التلمساني جـ٤ صـ ٢٠٥
٢- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) المحقق: عصام شقيو ،الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت ،الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م جـ ١ صـ ٤١٠
٣ - الكلمة المحذوفة (الأير)
٤- نفح الطيب، المقري التلمساني جـ٤ صـ ٢٠٦
٥- نزهة الجلساء في أشعار النساء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) اعتنى به: عبد اللطيف عاشور، الناشر: مكتبة القرآن صـ ٨٩

عن أسرار العشاق، والأحبة، فهو أكتم للسر، فقد كانت ولادة عاشقة، ولهة بابن زيدون، فإن لاح ما تكتمه ولادة من حب لابن زيدون؛ لحجب الشمس عن مطلعها، وأخفي نور القمر في السماء، واختفت معه النجوم، لقد أعلنت ولادة عن حرية غير مسبوقة؛ لدي المرأة الأندلسية، بل أنها غير مسبوقة، حينما تكون هذه الفتاة أميرة، أو ابنة أحد الأمراء، والوزراء، وبهذا يكون التحرر الأخلاقي، قد سيطر علي جانب عريض من حياة معظم بنات الطبقة الأولي في الأندلس، طبقة أهل السلطة والحكم، فقد كتبت ولادة لابن زيدون قائلة : الطويل

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر(١)

ووفت ولادة بما وعدت، ولكنها توفيت عذراء بعد رحلة من الحب، بلغت ذرواتها، وقد كلف هذا الحب أحد الشعراء حياته، فقد تسبب ابن زيدون في مقتل ابن عبدوس؛ الذي كان ينازع ابن زيدون في حب ولادة .

**ثانيا : التحرر الأخلاقي عند أهل الأدب والعلم والثقافة من الشاعرات الأندلسيات.**

شاركت المرأة مشاركة حقيقية في جميع نواحي الحياة في الأندلس فكانت " علي امتداد العصور التي تعاقبت عليها ( عصر الإمارة ، عصر الخلافة ، عصر ملوك الطوائف ، عصر المرابطين والموحدين وما بعدهما ) مثار عاطفة الرجل ، وبؤرة اهتمامه ، ومثار وجدانه ، ومكمن سره علي الرغم من تقلبات الدهر وصروف الزمان وتغيراتهى وكانت المرأة محط الأنظار وموضع الاحترام عند الرجال الأحرار وقد شاركتهم في الحروب وشاطرتهم في معاناتهم في المعارك (٢)"

ولعل من أشهر الشواعر والنساء الأندلسيات مهجة القرطبية وكانت صاحبة لولادة بنت المستكفي، وكانت مهجة من أجل نساء زمانها، وعلقت بها ولادة، ولازمت تأديبها، وكانت من أخف الناس روحًا، ووقع بينها، وبين ولادة ما اقتضى، أن قالت مهجة في ولادة بنت المستكفي: السريع

ولادة قد صرت ولادة من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه نخلة هذي ذكر قائم(٣)

وهنا- تعلن مهجة عن تحرر أخلاقي رهيب، فقد اتهمت مهجة ولادة بالولادة، والإنجاب مع أن ولادة لم تتزوج، وماتت عذراء لا حظ لها من الرجال .

---

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ق١ جـ ١ صـ ٤٣٠
٢- ازدهار الشعر النسوي في الأندلس ، محمد محمد خطابي ، مجلة الرأي ، عام ٢٠١٨ .
٣- المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: شوقي ضيف ، الناشر: دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥جـ١ صـ ١٤٣

ونلمس- أيضًا- التحرر الأخلاقي للمهجة ؛ حينما أهدى إليها من كان يهيم بها حبًا خوخًا، فكتبت إليه(١):السريع

يـــا متحفـــا بـــالخوخ أحبابـــه أهـــلا بـــه مـــن مـــثلج للصـــدور
حكـــى ثـــدي الغيـــد تفليكـــه لكنـــــــه أخـــــــزى رؤوس...(٢)

لقد وصفت مهجة ثمار الخوخ بألفاظ، ما كان لها أن تجنح إليها، أو تستخدمها في شعرها، فقد استخدمت ألفاظ جسدية، تنم عن فساد أخلاقي، فهذه الألفاظ من الألفاظ؛ التي تخدش الحياء بصورة كبيرة.

ومن الشاعرات الأندلسيات؛ التي كشفن عن تحررهن الأخلاقي، والقيمي هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي،أديبة شاعرة، كتب إليها أبو عامر ابن ينق يدعوها للحضور عنده بعودها، فقالت:الكامل

يـا هنـد هـل لـك فـي زيـارة فتيـة نبـذوا المحـارم غيـر شـرب السلسـل
سـمعوا البلابـل قـد شـدوا فتـذكروا نغمـات عـودك فـي الثقيـل الأول(٣)

فكتبت إليه في ظهر رقعته معلنة عن تحررها الأخلاقي، الذي دفعها لأن تكون في سرعة استجابتها لأبي عامر الجواب علي ظهر رقعته؛ التي أرسلها إليها، فأنشدت قائلة: الكامل

يـا سـيدا حـاز العـلا عـن سـادة شـــم الأنـــوف مـــن الطـــراز الأول
حسـبي مـن الإسـراع نحـوك أننـي كنـت الجـواب مـع الرسـول المقبـل(٤)

والحقيقة أننا لم نسمع من قبل امرأة تذهب لمن يدعوها في مثل هذه السرعة؛ التي أعلنت عنها هند في نظمها .

ومن الشاعرات الأندلسيات؛ اللائي أعلن عن تحررهن الأخلاقي الرهيب في وجه الرجال عائشة بنت أحمد القرطبية، فقد تقدم لخطبتها أحد الشعراء؛ ممن لم ترضه زوجًا لها، فكتبت إليه ضاربة بكل القيم، والتعاليم الإسلامية؛ التي تدعو إلي السماحة في القول، والفعل، وأدب الحوار، والتي تنهي عن الرفض السافر، والقاسي، فقد أنشدت قائلة في وجه من أراد خطبتها: الكامل

---

١- نزهة الجلساء في أشعار النساء، جلال الدين السيوطي صـ٨٢
٢ - الكلمة المحذوفة ( الأيور)
٣- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (المتوفى: ١٣٦٤هـ) الناشر: مكتبة الثقافة، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م جـ٣ صـ١٤٣
٤- تحفة القادم، ابن الأبار، أعاد بناءه وعلّق عليه: الدكتور إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.صـ ٢٣٩

أنـــا لبـــوة لكننـــي لا أرتضـــي نفسـي مناخـا طـول دهـري مـن أحـد
ولـــو أننـــي اختـــار ذلـــك لـــم أجـــب كلبـا وكـم غلقت سمعي عن أسد (١)

وصفت عائشة نفسها بـأنثى الأسد فـي هذه الأبيـات، وهذا الرمز فيـه من الشموخ، والعزة كثير، ويحمل– أيضًا- من الأنوثة الكثير، ورغم أنوثتها، وعزتها، فأنها لا ترتضي لنفسها مناخًا من أحد، ولو فكرت في هذا لم تجيب ذلك الرجل؛ الذي وصفته بالكلب، وقد أغلقت سمعها عن الأسد.

وبهذا تكون بعض الشاعرات الأندلسيات، قد وصلن لدرجة كبير من التحرر الأخلاقي؛ الذي يكشف عن انحلال أخلاقي رهيب ظهر في فترات متباينة من حياة الأندلس.

وكان لزرياب جارية اسمها متعة، أدّبها، وعلّمها أحسن أغانيه؛ حتى شبت، وكانت رائعة الجمال، ووقفت بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة، وتسقيه أخرى، فلما فطنت لإعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة، فأبى إلا التستر، فغنته بهذه الأبيات قائلة: المجتث

يـــا مـــن يغطّـــي هـــواه مـــن ذا يغطّـــي النهـــارا
قـــد كنـــت أملـــك قلبـــي حتـــى علقـــت فطـــارا
يـــا ويلتـــا أتـــراه لـــي كـــان، أو مســـتعارا
يـــا بـــأبي قرشـــيٌّ خلعـــت فيـــه العـــذارا(٢)

لقد تحررت متعة من كل القيود الأخلاقية النسائية، وأعلنت عن رغبتها، وعن حبها للأمير عبد الرحمن، علي الرغم من أنها جارية، يجب عليها السمع، وطاعة، وعدم الخروج عن المألوف، ولا يحق لها أن تعلن عن رغبتها، وخاصة حينما تكون رغبتها في أمر الحب، والعشق لأمير له قدره، مكانته بين الناس، فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه فحظيت عنده.

وبهذا تكون الأندلس قد لمست عدة جوانب من التحرر الأخلاقي الرهيب الذي سيطر علي معظم فترات الحياة الأدبية في الأندلس ، ونخلص من ذلك لعدة نتائج تعكس مظاهر الحياة الأدبية في الأندلس ومن هذه النتائج ما يلي :

---

١- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣١٢ هـ صـ٢٩٢

٢- التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) المحقق: عبد السلام الهراس ،الناشر: دار الفكر للطباعة – لبنان ، سنة النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م جـ ٤ صـ ٢٤٣

**- أهم النتائج :**

- ظهور فنون شعرية جديدة في الحياة الأدبية الأندلسية، ونمو فنون أخرى بصورة كبيرة، وتناول موضوعات جديدة، وتطور موضوعات بعينها، واختفاء موضوعات أخرى .

- ظهور تحولات إيجابية في بعض الأحايين، وسلبية في بعض الأحايين الأخرى في حياة بعض الشعراء الأندلسيين .

- نمو وتطور فن الخمريات، وانتشاره بصورة كبيرة في البيئة الأندلسية؛ بسبب عدة عوامل .

- ظهور شعر الغزل المذكر، وانتشاره في دور العامة، وقصور الملوك، والأمراء والوزراء، وبين بعض الشعراء ... وغيرهم من الشخصيات الأندلسية .

- انتشار النقد اللاذع ، بألفاظ نابية خارجة عن حدود الأدب، والأخلاق، وتناول العيوب، والمفاسد.

- غياب الواعظ الديني للكثير من الملوك، والأمراء، والوزراء الأندلسيين، وأيضًا الشعراء، والشاعرات، فقد استوزر بعض الملوك الأندلسيين المسلمين وزراء نصارى في حكم الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس، ومنهم – أيضا- من استوزر وزراء يهود، ومنهم من أسند القضاء لأحد القضاة؛ الذين وصفوا بالجهل، والجهالة مثل: القاضي يخامر، وقاضي لوشة ... وغيرهم .

- انتشار المعاصي، والمجاهرة بالذنوب: مثل الغزل المذكر، وخاصة عند بعض الملوك، والوزراء، والأمراء الأندلسيين، وانتشار مجالس الخمر، والمجون، وكثرة الجواري، والرقيق، والعبيد في قصور أهل السلطة، والجاه .

- عبث بعض شعراء الأندلس، وشاعراتها بالدين، وقيمه، والتلاعب بألفاظه، ومفرداته في كثير من الحوادث، والمساجلات الشعرية؛ التي لا علاقة للدين بها، بل نهى الدين عن الخوض فيها، وجعل لمن يقع فيها جزاءًا قاسيًا عند الله.

- تشير البحوث العلمية، والاجتماعية؛ التي اهتمت بالسلوك الإنساني أن العلاقات السلبية، والصفات السيئة تكون في الأفعال، والأقوال، وبعضها يكون ظاهرًا جليًا وبعضها يكون غامضًا مستترًا، وهذا أشد خطرًا، وأعظم ضررًا .

- تحرر المرأة من قيود الدين، وسفورها، ومشاركتها للرجال في ميادين الشعر، واللهو، ومجالس الطرب، وانتشار الجواري، والمغنيات، وكثرت العلاقات غير الشرعية، فقد نالت المرأة، وخاصة الشاعرة الأندلسية مكانة؛ لم تحظ بها من قبل بسبب تحررها الأخلاقي، والاجتماعي، والديني، وقد كشف ذلك كثير من أشعار ولادة بنت المستكفي، والشاعرة نزهون بنت القلاعي، وحفظة بنت الحاج الركونية, وأنس القلوب(١) ... وغيرهن كثير .

---

١- شاعرة أندلسية، يذكر أنها كانت جارية للمنصور.حيث كان لها شعر بين يديه في حضور أبي المغيرة ابن حزم. حيث قالت في ابن حزم شعراً، فغضب المنصور ولما سكنت ثورته وهبها له.

- ضعف كثير من حكام الأندلس، وعجزهم عن التصدي للكثير من النقد السياسي المشين، والمسف الذي نظمه بعض الشعراء،
- الانشقاق عن كثير من الحكام، والدولة الأندلسية؛ بسبب ما يقع من الوزراء، والأمراء من أفعال سيئة، وأقوال خارجة، وخاصة الوزراء اليهود، والنصارى؛ الذين استوزرهم الحكام الأندلسيين .
- انتشار مجالس اللهو، والترف، والرفاهية في قصور الوزراء، والأمراء، والملوك، وانتشار الخمر، والسكر، وكثرة الجرائم، والمشكلات بين أجناس الشعب الأندلسي.

**- أهم التوصيات:**

- دراسة الكواكب في الشعر الأندلسي .
- دراسة أدوات الزينة في الشعر الأندلسي .
- دراسة شعر الشعراء المكفوفين في الأندلس .

**قائمة المصادر والمراجع**

**أولا: المصادر المطبوعة :**

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها. المؤلف مجهول، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م .

- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٦٣م.

- بدائع البدائه، علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين (المتوفى: ٦١٣هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨ه) الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة عام النشر١٩٦٦ م .

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ) الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو ٦٩٥هـ) تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

- التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) المحقق: عبد السلام الهراس ، الناشر: دار الفكر للطباعة – لبنان ، سنة النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

- تحفة القادم، ابن الأبار، أعاد بناءه وعلّق عليه: الدكتور إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت ، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق:إحسان عباس، الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، الطبعة الأولي ١٩٧٨م.

- معجم السفر، صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (المتوفى: ٥٧٦هـ) المحقق: عبد الله عمر البارودي ، الناشر: المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥م.

- الرسائل الأدبية، الجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ.
- نزهة الجلساء في أشعار النساء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) اعتنى به: عبد اللطيف عاشور، الناشر: مكتبة القرآن.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت ، الطبعة الاولي ١٩٩٧ م.

**ثانيًا : الدواوين الشعرية :**

– ديوان شعر ابن الزقاق البلنسي، ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، بيروت، دار الثقافة.
- ديوان شعره ابن شهيد الأندلسي ، ابن شهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن عبد الملك ت[٤٢٦] هـ: جمعه وحققه: يعقوب ذكى. راجعه: د. محمود على مكى. دار الكتاب العربى للطبع والنشر. وقد حقق ديوانه -أيضًا-: د.محى الدين ديب. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. الطبعة الأولى١٩٩٧م.
- ديوان شعر ابن عبد ربه، ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت[٣٢٨ه] جمعه وحققه وشرحه: محمد رضوان الداية، دار الفكر، سورية، الطبعة الثانية ١٩٨٧م المكتبة الأندلسية .

**ثانياً: المراجع المطبعة :**

- أحمد هيكل، تاريخ الأدب الأندلسي، المكتبة الأدبية، الطبعة الرابعة ١٩٩٨م .
- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله بن عفيفي الباجوري (المتوفى: ١٣٦٤هـ) الناشر: مكتبة الثقافة، المدينة المنورة ،المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م.
- عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، دولة الموحدين ، الناشر: دار البيارق للنشر، عمان.
- مظاهر التحرر النسوي في الأندلس – اجتماعيا ، ثقافيا ، سياسيا ، بالمجلد ١٣ عدد ١ عام النشر ٢٠٢١م